

نظرية التأويل: من القراءة الظاهرية للنص إلى الهرمنيوطيقا
Hermeneutic theory: from the apparent reading of the text to the
hermeneutics

¹ حمدي بن الحبيب البدراني، باحث بمرحلة الدكتوراه وأستاذ تعليم ثانوي، المعهد العالي لأصول الدين — جامعة الزيتونة (تونس).

تاريخ الاستلام: 2024/10/25 تاريخ القبول: 2024/11/12 تاريخ النشر: 2024/11/22

ملخص:

يعدّ التأويل من المصطلحات "القلقة" التي أثارت إشكالات كبيرة في الفكر الإسلامي. وأنتجت فهوما مختلفة على مرّ العصور، ويعود سبب ذلك لاختلاف المدارس التفسيرية - القديمة والحديثة- حول هذا المصطلح، حيث تشير كتاباتهم إلى ظهور نظريات متعدّدة. وقد سعت هذه الدراسة إلى توضيح تلك الاختلافات، من خلال استقراء بعض آراء وتصوّرات أعلام كلّ مدرسة -وفقا لاحتياجات المقال-. ولم يكتف الباحث من خلال هذه الورقة العلمية باستقراء نصوص أعلام المدارس التفسيرية، وإنّما حاول أن يقدّم مقارنة نقدية موضوعية للنظريات المعروضة في هذا المقال.

كلمات مفتاحية: التأويل / النظرية / الهرمنيوطيقا / أهل الرأي / أهل الإشارة / أهل الأثر / المدرسة العقلية الحديثة.

Abstract:

Interpretation is one of the "troubled" terms that has raised major problems in Islamic thought. It has produced different understandings throughout the ages, due to the differences between the interpretive schools - ancient and modern - regarding this term, as their writings indicate the emergence of multiple theories. This study sought to clarify these differences, by

extrapolating some of the opinions and perceptions of the scholars of each school - according to the needs of the article. The researcher, through this scientific paper, did not limit himself to extrapolating the texts of the scholars of the interpretive schools, but rather tried to present an objective critical approach to the theories presented in this article.

Keywords: Interpretation / Theory / Hermeneutics / People of opinion / People of indication / People of trace / Modern rational school.

مقدمة:

أثارت نظرية التأويل جدلا كبيرا في سماء الفكر الإسلامي حيث اختلفت فيها آراء المدارس التفسيرية قديما وحديثا. وقد أسس هذا الجدل بنينا معرفيا ثريا من حيث تعدد الآراء وتنوع زوايا النظر. ولم يكن هذا الخلاف ناجما عن ترف علمي بل كان مردّه الضرورة الجدلية، حيث سعت كل مدرسة لطرح نظرية التأويل وفق ما يتطابق مع أصولها ومبادئها.

الإشكالية: تطرح هذه الدراسة جملة من الإشكاليات، ويبقى مشكلها المركزي هو الآتي: هل أنتجت المدارس التفسيرية - القديمة والحديثة - نظريات خاصّة حول مصطلح التأويل أم أنّها كانت تبعًا لبعضها البعض؟

فرضيات الدراسة: تفترض هذه الدراسة وجود اختلاف عميق بين آراء المدارس التفسيرية حول قضية التأويل.

أهمية الدراسة وأهدافها: تكمن أهمية هذه الورقة العلمية في دراستها لمسألة وقضية "حَرَكية" لها صلة وطيدة بجلّ العلوم الشرعية والإنسانية.

وتهدف إلى بيان رؤى المدارس التفسيرية لمصطلح التأويل، وإبراز الاختلافات بين تلك الرؤى والتصورات.

خطة البحث: تتكوّن هذه الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول: تعريف النظرية

المطلب الثاني: تعريف التأويل

المبحث الأول: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الأثر

المطلب الأول: التعريف بمدرسة أهل الأثر

المطلب الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الأثر

المبحث الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الإشارة

المطلب الأول: التعريف بمدرسة أهل الإشارة

المطلب الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الإشارة

المبحث الثالث: نظرية التأويل عند الأصوليين (مدرسة أهل الرأي)

المطلب الأول: التعريف بمدرسة أهل الرأي

المطلب الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الرأي

المبحث الرابع: نظرية التأويل عند المدرسة العقلية الحديثة

المطلب الأول: المدرسة العقلية الحديثة

المطلب الثاني: نظرية الهرمنيوطيقا عند المدرسة العقلية الحديثة

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول: تعريف النظرية

أ- لغة: النظرية مشتقة من فعل نظر وهو حسّ العين ويقال نظره ينظره نظرا ومنظرا ومنظرة ونظر إليه، ويقال النظر بمعنى تأمل الشيء بالمعنى¹ ويقال نظر أي حاول فهمه وتقصى معناه وحقيقته بالفهم والتجريب والاختبار.²

ب- اصطلاحاً: تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم النظرية بشكل عام، ومن هذه التعريفات:
- تعريف كيرلنجر (1965م) حيث عرّف النظرية بأنها "عبارة عن مجموعة من البناءات والمفاهيم والتعريفات والافتراضات المتداخلة التي تعطي منظورا نظاميا للظواهرات بتحديد العلاقات بين المتغيّرات بغرض التفسير والتنبؤ بالظواهرات"³.

¹ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت، م 5 / ص 215.

² ابن منظور، لسان العرب، ج 5 / ص 414، نقلا عن كتاب تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ط 2، 1405 هـ / 1985م، ص 20.

نظرية التأويل: من القراءة الظاهرية للنص إلى الهرمنيوطيقا

أما محمد سيف الدين فهي (1982م) فيشير إلى النظرية بقوله "هي فرضية أو مجموعة من الفرضيات المتناسقة والمترابطة منطقياً"⁴.

كما يعرفها البعض بأنها "قضية تثبت ببرهان وهي عند الفلاسفة تركيب عقلي مؤلف من تصوّرات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ"⁵.

المطلب الثاني: تعريف التأويل

أ- لغة: للتأويل لغة عدّة معان منها:

الرجوع والمصير⁶ والتدبير والتقدير⁷ والتفسير⁸ والجمع والإصلاح⁹ والسياسة¹⁰ والنقص¹¹ وغير ذلك. ويرى البعض أنّ أقرب هذه الألفاظ لهذا المصطلح لفظ الرجوع؛ إذ "التأويل في الكلام ردّ معانيه وإرجاعها إلى أصلها الذي تُحمل عليه ويجب أن تنتهي إليه"¹².

ب- اصطلاحاً: لن أتوقف على التعريف الاصطلاحي للتأويل في هذا الموضوع، وارتأيت ذكر ذلك عند عرض نظريات المدارس التفسيرية لهذا المصطلح، نظراً لاختلاف أوجه نظرهم في هذه المسألة.

المبحث الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الأثر

المطلب الأول: التعريف بمدرسة أهل الأثر

³ الغامدي ماجد بن سالم، قراءة لنظرية المنهج التربوي في ضوء النظرية الإسلامية، شبكة الألوكة، د.ط، د.ت، ص 9.
⁴ فهي محمد سيف الدين، النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، ص 15.

⁵ صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، د.ط، 1982م، ج 2 / ص 477.

⁶ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج 11 / ص 32.

⁷ م.ن، ج 11 / ص 33.

⁸ م.ن، ص.ن.

⁹ م.ن، ص.ن.

¹⁰ الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط3، 1413 هـ / 1993م، ص 1244.

¹¹ م.ن، ص.ن.

¹² بوزيان حمزة، التأويل عند مفسري القرآن الكريم - الطاهر ابن عاشور أنموذجاً، مقال منشور بالمجلة التعليمية،

العدد الأول، 1ماي سنة 2020م، المجلد 7، ص216.

اصطلح أهل التفسير على التفسير بالأثر "بأنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين من تفسير لآيات الله"¹³.

ويرى البعض أنّ مدرسة التفسير بالأثر هي أول مدارس التفسير ظهوراً لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسّر ما أشكل على الصحابة فهمه من القرآن الكريم، ولما كان الصحابة قد عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم وحضروا نزول الوحي استغنوا عن كثير ممّا احتاج غيرهم لفهم القرآن الكريم. فأنشأوا مدارس للتفسير في الأقطار الإسلامية التي هاجروا إليها فتتلمذ عليهم التابعون وأخذوا عنهم فهمهم وتفسيرهم، فكان التابعون أعلم بتفسير القرآن المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من الذين جاؤوا بعدهم.¹⁴

المطلب الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الأثر

بدأ التأويل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته كوسيلة من وسائل الكشف عن المعنى، وظلّ مرادفاً للتفسير الذي يتناول كتاب الله وسنة رسوله بالشرح والفهم. والجدير بالملاحظة هنا أن وظيفة التأويل آنذاك كانت مرتبطة بشرح وتوضيح ما غمض من معنى، أمّا ما كان واضح المعنى والدلالة فلم يكن في حاجة للتأويل.¹⁵

ويعتبر الإمام الطبري أحد زعماء مدرسة التفسير بالأثر على الإطلاق، وقد أسس نظرية التأويل عنده على هذا الكلام السابق ذكره.

فالتأويل عند الإمام الطبري هو مرادف تماماً للتفسير، ويظهر ذلك من تفسيره للقرآن الكريم الذي عنونه "بجامع البيان عن تأويل آي القرآن". والمعلوم من استعماله للفظ التأويل في هذا الموضع أنّه قصد به التفسير.¹⁶

¹³ الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر، ج 1 / ص 152.

¹⁴ آل جعفر مساعد مسلم والسرّحان محي هلال، مناهج المفسرين، دار المعرفة، ط1، 1980م، ص 33.

¹⁵ أبو عمشة خالد حسين، التأويل النحوي، شبكة الألوكة، د.ط، د.ت، ص 3.

¹⁶ الطيّار مساعد بن سليمان، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسّر، دار ابن الجوزي، ط2، 1427 هـ،

نظرية التأويل: من القراءة الظاهرية للنص إلى الهرمنيوطيقا

ومن هنا يطرح الإشكال: لماذا اعتبر الطبري التأويل مرادفاً للتفسير؟ وهل حقيقة يمكن الجمع بين هاذين اللفظين؟ وهل أنّ اختلاف مباني الكلام لا يؤدي إلى اختلاف معانيها؟ إنّ الإجابة عن هذه التساؤلات تدعونا للنظر بين ثنايا كتب التاريخ باحثين فيها عن بعض الأحداث التي سبقت عصر الإمام الطبري، ولكن يجدر بنا في البداية الإشارة لاستعمال القرآن الكريم والسنة النبوية للفظ التأويل.

يعتبر مصطلح التأويل مصطلحاً قرآنياً، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً: في سورة آل عمران¹⁷ والنساء¹⁸ والأعراف¹⁹ ويونس²⁰ ويوسف²¹ والإسراء²² والكهف²³. ولم يأت التأويل في هذه الآيات بمعنى التفسير ولو في آية واحدة. وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على حقيقة الترادف بين التفسير والتأويل وعند التعقيب على مدرسة أهل الأثر. كما قد ورد هذا المصطلح في الحديث النبوي في مواضع كثيرة: والحديث المعتمد هنا هو الذي أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على كتفي أو منكبي ثم قال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"²⁴. أمّا بقية المواضع الأخرى التي ذكر فيها مصطلح التأويل في الحديث النبوي فلم يُفهم منه أنّه مرادف للتفسير، ولذلك ارتأيت عدم ذكرها.

ويظلّ السؤال المطروح هنا: لماذا اعتبر الإمام الطبري التأويل مرادفاً لمصطلح التفسير؟ إنّ الإجابة عن هذا الإشكال تحتاج إلى قراءة تاريخية يبحث من خلالها عن مقاصد وأبعاد نظرية التأويل عند مدرسة أهل الأثر.

¹⁷ سورة آل عمران، الآية 7.

¹⁸ سورة النساء، الآية 58.

¹⁹ سورة الأعراف، الآية 52.

²⁰ سورة يونس، الآية 39.

²¹ سورة يوسف، الآيات 6 - 21 - 36 - 37 - 44 - 45 - 100 - 101.

²² سورة الإسراء، الآية 35.

²³ سورة الكهف، الآية 77 - 81.

²⁴ ابن حنبل أحمد، المسند، مسند ابن عباس، ر.ح، 2397، ت. شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة،

دط، دت، ج 4 / ص 225.

فمن المعلوم ضرورة عند جميع الباحثين أنّ الإمام الطبري المتوفى سنة 310 هـ، قد سبقته مدارس كلامية كثيرة خاضت في أي القرآن تأويلا وتفسيرا.

ومن أبرز هذه الفرق فرقة الخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرها من فرق الشيعة. وقد غاصت وتعمّقت هذه النحل في قراءة النصّ القرآني محاولة استنباط أدلّة لمعتقداتهم واستعملوا في ذلك التأويل كوسيلة لبلوغ مقاصدهم. إلّا أنّهم غالوا في استعمالهم لهذه الوسيلة وهو ما دفع البعض للثورة عليهم - فكريا -.

ويعتبر الإمام الطبري من أشهر الأعلام الذين حاولوا التعقيب على هذه المدارس الكلامية، ولذا كان لا بدّ من خرق تلك الوسيلة التي اعتمدها أهل هذه النحل ومنها يخرق بنيناهم العقدي. فالمتعمق بنظره في الأحداث التاريخية التي سبقت الإمام الطبري كمنشأة الفرق الكلامية وتشعب الآراء وفتنة خلق القرآن وتعجم العرب، يدرك أنّ كل ذلك، كان سببا رئيسيا في بناء نظرية التأويل عند مدرسة أهل الأثر.

ويمكننا القول في هذا الموضوع أن اعتبار التأويل مرادف للتفسير هو عبارة عن ردّة فعل على الأقوال التي شدّت بها تلك الفرق. ويعتبر الإمام الطبري من السّاقين في زمانه في هذا القول حيث رادف بين المصطلحين ليؤسس بذلك فهما للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، واعتبر أنّ هذا الفهم امتداد لفكر السلف الذي انقطع مدده نظرا لتشعب الآراء الكلامية وقلة المتمسكين به في الطبقة التي سبقت الإمام الطبري - مقارنة بعدد أعيان المدارس الكلامية الأخرى -.

فقد وجدت الفرق الكلامية التأويل متنفسا لتعاليمهم يتجاوزون بها الحدود الظاهرة لمعاني الكلم. ولذا ألزم الإمام الطبري - ومن ناصره في هذه المدرسة - أنفسهم بالوقوف على ظواهر النصوص القرآنية وذلك للردّ على هذه المدارس والتعقيب على آرائها.

إنّ الباحث في حقيقة نظرية التأويل عند مدرسة أهل الأثر تظهر له هذه الصورة التي حاولت إظهارها وإبرازها.

ولكنّ هل يمكن حقيقة الجمع بين مصطلحي التفسير والتأويل؟ وهل يمكن القول بالترادف بينهما؟ وهل أنّ اختلاف المباني لا يؤدّي إلى اختلاف المعاني؟

إنَّ الإجابة عن هذه التساؤلات تدعونا لاستقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر مصطلح التأويل. وكما أسلفت بأنَّ هذا المصطلح ورد في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً وهي كالآتي: قوله تعالى في سورة آل عمران:

لَا (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسَخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ²⁵. قال الإمام الطبري: "إنَّ ابتغاء التأويل الذي طلبه القوم من المتشابه،

هو معرفة انقضاء المدة ووقت قيام الساعة وأنهم طلبوا وأرادوا معرفة وقتٍ هو جاء قبل مجيئه" وقال في قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) ²⁶ "أي وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أكل محمد وأُمته وما هو كائن إلا الله.....ثم يختم كلامه في تفسير هذه الآية بقوله التأويل في كلام العرب هو التفسير والمرجع والمصير." ²⁶

وقوله تعالى في سورة النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ²⁷. قال ابن جرير الطبري في تفسيره: "أحسن تأويلاً: يعني وأحمد مؤثلاً ومغبّة وأجمل عاقبة" ²⁸.

وقوله تعالى في سورة الأعراف: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَةَ يَوْمٍ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) ²⁹ ويراد بالتأويل هنا الحوادث التي تقع مطابقة لما أخبر به الكتاب، أي هل ينتظرون إلا تحقق ما أخبر به القرآن من بعث وحساب وثواب وعقاب في الآخرة ³⁰.

²⁵ سورة آل عمران، الآية 7.

²⁶ الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق وتعليق بشار عواد معروف وعصام فارس الحستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ / 1994 م، م 2 / ص 217 – 219، بتصرف.

²⁷ سورة النساء، الآية 58.

²⁸ الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، م 2 / ص 494.

²⁹ سورة الأعراف، الآية 52.

وقوله تعالى في سورة يونس: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)³¹، قال الإمام الطبري: "ولمَّا يَأْتِهِمْ تأويله: يقول: ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في هذا القرآن"³². فالمراد بالتأويل هنا: "وقوع ما أخبر به القرآن وهو الأثر الخارجي والمدلول الواقعي بوعيد هؤلاء"³³.

كما ورد هذا المصطلح في سورة يوسف في ثمانية مواضع ويقصد به تعبير الرؤيا أي: "ما تؤول إليه من الحوادث الواقعية التي كان يمثلها ما رأي في تلك الرؤى المنامية"³⁴.

وفي قوله تعالى في سورة الإسراء: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)³⁵، قال الإمام الطبري: "وأحسن تأويلاً: يقول: أحسن مردودا عليكم وأولى إليه فعلكم ذلك، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم، فيحسن لكم عليه الجزاء"³⁶.

وقوله تعالى في سورة الكهف: (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)³⁷، قال الإمام الطبري: "أي بما يؤول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها، فلم تستطع على ترك المسألة عنها، وعن النكير عليّ فيها صبرا"³⁸.

إنّ الناظر إلى هذه الأقوال السابق ذكرها يتبيّن له أنّ التأويل لم يرد في القرآن الكريم بمعنى التفسير ولو في آية واحدة. وما ذكره الإمام الطبري في خاتمة تفسيره للآية السابعة من سورة آل عمران حيث

³⁰ حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 33، العدد 1، 2006، ص

3.

³¹ سورة يونس، الآية 39.

³² الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م 4 / ص 210 – 211.

³³ حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، ص 3.

³⁴ م.ن، ص.ن.

³⁵ سورة الإسراء، الآية 35.

³⁶ الطبري ابن جرير، جامع البيان، م 5 / ص 29.

³⁷ سورة الكهف، الآية 77.

³⁸ تفسير الطبري، م 5 / ص 124.

قال: "والتأويل في كلام العرب هو التفسير والمرجع والمصير"³⁹ ليس بتفسير لهذه الآية إنما هو مجرد تعقيب وتبيين لغوي.

فقد برهن لنا هذا الاستقراء أن التأويل قد تعلق في هذه الآيات بالحوادث التي ستقع مصدقة لأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كما يتبين ذلك في قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)⁴⁰، أو مبينة لوقائع الرؤيا: فإن المراد بتأويلها هو الحوادث الواقعية التي يمثلها ما رآه الإنسان في منامه كالذي ذكرته آيات سورة يوسف، ومثل ذلك الحوادث المتوقعة التي من أجلها فعل العبد الصالح صاحب موسى - عليه السلام - ما فعل، ممّا قصّته علينا سورة الكهف.⁴¹

إنّ هذه الإطالة البسيطة فتحت لنا نافذة التساؤل عن سرّ اعتبار التفسير والتأويل مصطلحين مترادفين عند أهل اللغة.

فكلمة التفسير يعود اشتقاقها اللغوي إلى الجذر الآتي (س - ف - ر) بينما يعود الاشتقاق اللغوي لكلمة التأويل إلى جذر (أ - و - ل)، فتباين مباني هاتين المفردتين وأصلهما الاشتقائي شاهد على اختلافهما من حيث المعنى. ففي اللغة العربية يندرج وجود كلمتين مترادفتين في جميع السياقات ولذا نجد للكلمة الواحدة معاني متعددة وتختلف هذه المعاني لاختلاف السياق المذكورة فيه. ويصعب وجود كلمتين مترادفتين تماما يصح استعمال كل واحدة منهما عوض الأخرى في كل السياقات. وعلى هذا الأساس لا يمكن التسليم بجميع ما ذكره أهل الأثر في تنظيرهم لمصطلح التأويل، وما حاولت تقديمه في هذا البحث هو مجرد قراءة .

المبحث الثالث: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الإشارة

المطلب الأول: التعريف بمدرسة أهل الإشارة

اصطلح أهل التفسير على التفسير بالإشارة بأنه "هو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها

³⁹تفسير الطبري، م 2 / ص 219.

⁴⁰ سورة الأعراف، الآية 52.

⁴¹ حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، ص 4.

بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا⁴².

وتعدّ مدرسة التفسير الإشاري من أول المدارس التفسيرية ظهورا، حيث بدأت تقريبا مع سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة 283 هـ.

المطلب الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الإشارة

إنّ رحلة البحث عن نظرية التأويل عند مدرسة التفسير الإشاري تفرض علينا في البداية البحث عن أصحاب هذه المدرسة وعن نوع خطابهم.

فالمدرسة لهذا الصنف من التفسير، يجد شبه إجماع بين العلماء على أنّه مستمد من مدرسة التصوّف. فغالب أعلام الصوفية - قديما وحديثا - تميّزوا بوضع إشارات في تفسيرهم لأي القرآن ويعبرون عن هذه الإشارات بمصطلح "الكشف الإلهي"⁴³.

ويمتلك الخطاب الصوفي طاقات وأنساق دلالية تحوم في دوائر الخفاء لاستناده على جهاز معرفي وعرفاني، قوامه التجربة الباطنية: ذوقا وإلهاما وكشفا، وفق منظومة لغوية تنهض على الإشارة والرمز والمصطلح، بثنائية الظاهر والباطن، مما أضفى عليه خصوصية في التأسيس والإنتاج والتأويل، فتميّز عن غيره من الخطابات.⁴⁴

إنّ عملية الكشف عن ماهية أصحاب مدرسة الإشارة ونوع خطابهم مهدت لنا الطريق للبحث عن سرّ نظرية التأويل عندهم.

ومن هنا نطرح جملة من التساؤلات: لماذا لم يكتف أصحاب هذه المدرسة بالوقوف على ظواهر النصوص؟ وما هو النسق الذي انتهجه التأويل في مدرستهم؟ وهل أنّ باطن الكلام ملزم أكثر من ظاهريته؟

⁴² الرومي فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418 هـ / 1997م، ج 1 / ص 367.

⁴³ هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا. انظر: معجم التعريفات للجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دارالفضيلة، دط، د.ت، ص 155.

⁴⁴ الجعافرة خلدون أحمد، سيميائية الإشارة الصوفية في الخطاب الشعري الحديث، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وأدائها تحت إشراف د. مصطفى عليان، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2011م، ص 1.

تعتبر طبيعة العالم الصوفي طبيعة مغايرة تماما لبقية طبائع العلماء (كالفقيه والمحدث والمتكلم). فعلماء الرسوم – كما يطلق عليهم الصوفية – غالبا ما يقفون على ظواهر النصوص القرآنية والنبوية وإذا اجتهدوا نظروا في الأبعاد المقاصدية لهذا النص المقدس. بينما يغوص أرباب التصوف في بحار المعاني باحثين عن تلك الجزر المهجورة التي غابت عن غيرهم. ويستعملون في طريق بحثهم عن تلك الجزر سفن التأويل من أجل الإرساء على شواطئ المعرفة.

إنّ هذه الصورة الإجمالية لشخصية الصوفي برهنت عن اختلافه وتباينه مع بقية العلماء. وقد أكسبته هذه الخصوصية القدرة على تأسيس نظرية تأويلية مستقلة ومختلفة عن باقي النظريات. وتتركس نظرية التأويل عند أهل الإشارة في المقولة الآتية: "ما من آية في القرآن إلّا ولها أربعة معان ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحدّ حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عزوجل"⁴⁵.

وتطوف نظرية التأويل عندهم على كعبي الباطن والمطلع، فهم يسعون إلى كشف بواطن النصوص معتمدين في ذلك على المطالع وهو الكشف الإلهي الذي يكتسبه الصوفي إثر مجاهدات حسية ومعنوية. كما تعتبر اللغة الصوفية لغة رمزية مجازية ذات دلالات كثيرة قابلة لأكثر من تأويل تتميز بالتخيل والتمثيل⁴⁶. والرمزية والتأويل عندهم عنصران لا ينفكان عن بعضهما فالعلاقة بينهما متينة ومترابطة، إذ كلّما جاء الرمز استدعى التأويل وكلما حلّ التأويل دلّ على وجود الرمز⁴⁷.

ولو حاولنا تعقل نظرية التأويل عند أهل الإشارة لوجدناها هي أيضا ردّة فعل على أصحاب الظاهر. فقد سعى أرباب التصوف إلى الكشف عن باطن النصوص لأنّ ظاهرها صار من المعلوم ضرورة. ويقول في هذا الصدد سهل بن عبد الله التستري عند تفسيره لقوله تعالى: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّحْبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ)⁴⁸ "ظاهر الآية الجار الجُنُب البعيد الأجنبي،

⁴⁵ التستري سهل بن عبد الله، تفسير القرآن العظيم، حققه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي، دار الحرم للتراث، ط1، 2004م، ص 76.

⁴⁶ شريف هزاع شريف، المعنى والتأويل في الخطاب الصوفي عند العلاج، لا يوجد ذكر لدار النشر، دط، دت، ص 11.

⁴⁷ خميسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، رسالة دكتوراه تحت إشراف د. عبد الرحمن

التليلي، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، الجزائر، 1426 هـ /

1427 هـ، ص 10.

والصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر وقد قيل الزوجة، وابن السبيل الضيف. أما باطنها: فالجار ذو القربى هو القلب، والجار الجُنْب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله⁴⁹. ويقول في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)⁵⁰ "ظاهرها ما عليه أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة. فإن بغى الطبع والهوى والشهوة، على القلب والعقل والروح، فليقاتله العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة، ليكون الروح والعقل غالباً، والهوى والشهوة مغلوباً"⁵¹.

إنَّ المطلع على هاذين المثالين وغيرهما في كتب التفسير الإشاري يجد أنَّ أعيان هذه المدرسة قد أَرهقوا أنفسهم بالبحث عن بواطن الآيات. ويظلَّ السؤال المطروح هنا: هل أنَّ المعرفة الباطنية للنصِّ القرآني ملزِّمة أكثر من ظاهريته؟

تحتاج الإجابة على هذا التساؤل لمقاربتين إحداها لغوية والأخرى شرعية. وتكمن المقاربة اللغوية في معرفة أيِّ الرأيين أقرب إلى الصواب وأسلم في الاستعمال اللغوي.

وإنَّ عملية البحث عن هذه المسألة بصورة تفصيلية تحتاج لاستقراء مصطلحات علماء الظاهر والباطن وإقامة مقارنات بينهما بالاعتماد على المعاجم اللغوية. كما يحتاج الأمر أيضاً إلى النظر في سيميائية⁵² الإشارة عند الصوفية. وجميع هذه المتطلبات تحتاج إلى دراسة معمقة ومفصلة.

ولكن يغلب الظنَّ على أنَّ رأي أهل الظاهر أقرب إلى الصواب من رأي أهل الباطن وذلك لسببين: السبب الأول: هو اعتماد أهل الظاهر على المعاجم اللغوية عند تفسيرهم لآي القرآن، بينما يعتمد أهل الباطن على معاجم خاصَّة بهم يصعب إدراك مصطلحاتها إلاَّ بعد معرفة طبيعة خطابهم ومفهوم

⁴⁸ سورة النساء، الآية 36.

⁴⁹ تفسير التستري، ص 131.

⁵⁰ سورة الحجرات، الآية 9.

⁵¹ تفسير التستري، ص 254.

⁵² السيميائية هي علم يدرس كيفية اشتغال الأنساق الدلالية التي شكلت الإطار القيمي والأخلاقي والجمالي للممارسات الإنسانية. انظر: سيميائية الإشارة الصوفية في الخطاب الشعري الحديث، خلدون أحمد الجعافرة، ص 6.

مفرداتهم، ولذا كانت جلّ مقاربتهم مقدّمة لخاصّة الخاصّة ولم تكن لعامة الناس، بينما الخطاب والفهم الظاهري هو خطاب لعامة الناس، والقرآن دعا الجميع للتدبّر والتفكّر ولم يُقصّ طائفة وإنّما فضّل بين الناس في أفهامهم، حيث قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)⁵³.

أمّا السبب الثاني: فيكمن في بساطة مصطلحات أهل الظاهر ووضوحها وهو ما يجعل النصّ القرآني قريب لأفهام النّاس يدركون ماهيته وكنهه، بينما تميّز مصطلحات أهل الباطن بالغموض والتعقيد وهو ما يجعل النصّ القرآني بعيد عن أفهام النّاس، لا يدرك إلا بشقّ الأنفس. وتكمن المقاربة الشرعية في معرفة أيّ الرأيين مُلزَمٌ به المكلف، فالفهم الإشاري قد يلزم المكلفين أحيانا بأفعال شاقة، رفعت الشريعة الحرج فيها.

بينما يكتفي الفهم الظاهري بما جاء به الشرع وما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولذا يكون هذا الفهم أولى باللزوم للمكلفين من فهم أصحاب الإشارات.

المبحث الرابع: نظرية التأويل عند الأصوليين (مدرسة أهل الرأي)

المطلب الأول: التعريف بمدرسة أهل الرأي

اصطلح أهل التفسير على التفسير بالرأي بأنّه "هو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"⁵⁴.

وتعتبر هذه المدرسة من أهمّ المدارس التفسيرية التي عرفتها الأمة الإسلامية، وقد انقسمت إلى قسمين: مدرسة للتفسير بالرأي المحمود وأخرى بالرأي المذموم. وارتأيت في هذا البحث الوقوف على مدرسة التفسير بالرأي المحمود.

المطلب الثاني: نظرية التأويل عند مدرسة أهل الرأي

⁵³ سورة الزمر، الآية 10.

⁵⁴ الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، ج 1 / ص 183.

اتخذ التأويل عند مدرسة أهل الرأي نسقا مغايرا تماما لطريقة أهل الأثر والإشارة. ويظهر هذا النسق الجديد من التعريف الذي ضبطه الأصوليون للتأويل.

فقد عرّف كلّ من الإمامين الغزالي والرازي التأويل بقولهما: "هو احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظنّ من المعنى الذي دلّ عليه الظاهر"⁵⁵.

وعرّفه الإمام الآمدي بقوله: "هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له"⁵⁶.

إنّ هذه التعريفات وغيرها برهنت لنا عن وجود نظرية جديدة للتأويل، تختلف ملامحها عن النظريتين السابقتين.

ومن هنا نطرح جملة من الإشكاليات: لماذا وضع الأصوليون نظرية جديدة للتأويل ولم يكتفوا بنظرية أهل الأثر؟ وهل أنّ هذه النظرية أضافت للفكر الإسلامي أم أنّها كانت خاصّة مثل نظرية أهل الإشارة؟ إنّ الإجابة عن هذه التساؤلات تدعونا للبحث عن ماهية نظرية التأويل عند الأصوليين. ولكن يجدر بنا أولاً التعرف عليهم.

فالأصوليون هم جمعٌ من علماء المدارس الكلامية السنيّة كالأشاعرة والماتريدية وبعض أعيان الحنابلة، ونذكر البعض منهم على سبيل الذكر لا الحصر: الإمام أبو بكر الباقلاني والغزالي والرازي والتفتازاني والنسفي والإيجي والآمدي والقرافي وغيرهم كثير.. والباحث في سير هذه الأسماء وتراجمهم يجد أنّهم أفنوا جزءا كبيرا من أعمارهم في التعقيب على المدارس الكلامية الأخرى - أصحاب الآراء المذمومة - من أمثال المعطلة والمجسمة.

ويبدو أنّ استعمال أصحاب مدرسة الرأي للتأويل بهذا المعنى، قد استوجبه دواعٍ كثيرة، "كان من أبرزها مواجهة التأويلات المنحرفة التي ظهرت في المجتمع الإسلامي والتي كانت مستنداً لكثير من

⁵⁵ * الغزالي محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ، ص 196.

* الرازي محمد بن عمر، المحصول في علم الأصول، تحقيق طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1400 هـ، ج 3 / ص 323.

⁵⁶ الآمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404 هـ، ج 3 / ص 59.

نظرية التأويل: من القراءة الظاهرية للنص إلى الهرمنيوطيقا

النزعات الطائفية والشعبوية، والفرق الضالّة، وبعض الأعاجم الذين تسربلوا بالإسلام، ولم يتجردوا من مواريتهم العقائدية، وتركاتهم الثقافية، وأرادوا الكيد للإسلام من الداخل"⁵⁷.

إنّ المتأمل في الدواعي التي دفعت الأصوليين لوضع نظرية تأويلية خاصّة بهم، يكتشف أنّ هذه النظرية كانت هي أيضا ردّة فعل منهم على أصحاب التأويلات المنحرفة من المدارس الكلامية الأخرى كالجهمية والمعتزلة والإمامية والباطنية...

كما أنّ ضعف نظرية التأويل عند أصحاب الأثر في نظر الأصوليين هي من الدواعي التي دفعتم لتأسيس نظرية تأويلية مخالفة في جميع شروطها لنظرية أهل الأثر، والشاهد على تباين هاتين النظريتين الخلاف العقدي في قضية آيات الصفات بين الأثريين والأصوليين.

إنّ هذه الإطالة البسيطة على سبب اعتماد أصحاب الرأي لنظرية تأويلية خاصّة بهم، برهنت في مضمونها عن عدم اكتفاء الأصوليين بنظرية الأثريين لعدم صمودها في بعض الجوانب وبالخصوص العقدي منها أمام آراء الفرق الأخرى.

وقد أنصف التاريخ مدرسة التفسير بالرأي في مواضع كثيرة حينما برهن قوة حجّتها وصلابة رأيها، وهو ما جعل الكثير من المدارس الكلامية الأخرى تندثر على يد أعلامها.

إلا أنّ خطاب هذه المدرسة لم يكن خطابا بسيطا يستطيع إدراك ماهيته جميع النّاس، بل كان خطابا كلاميا ممزوجا بمصطلحات فلسفية يصعب فهمها إلاّ بالعودة إلى معاجم الفلاسفة والمناطق المتكلمين.

صحيح أنّ نظرية التأويل عند الأصوليين قد تشترك في الخصوصية مع مدرسة أهل الإشارة، إلاّ أنّ التعمق في النظر فيهما – أي النظريتين – يبيّن لك نقاط التباين والاختلاف بينهما.

فنظرية التأويل عند أهل الإشارة مبنية بالأساس على الذوق بينما تقوم النظرية الأخرى على البرهان العقلي والاستدلال المنطقي.

كما أنّ النظرية الأولى تكتسب إثر مجاهدات حسيّة ومعنوية، وتكون في الغالب في شكل كشوفات إلهية وفيوضات ربانية يفتح الله بها أبصار بعض عباده. بينما تقوم النظرية الثانية على قواعد عقدية كلامية وشروط وأقيسة منطقية.

⁵⁷ حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، ص 6.

فالنظرية الأولى لا يمكن أن تؤسس حصنا منيعا لعقائد المسلمين بالقدر الذي تحققه النظرية الثانية.

المبحث الخامس: نظرية الهرمنيوطيقا عند المدرسة العقلية الحديثة

المطلب الأول: التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة

المدرسة العقلية الحديثة "اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر"⁵⁸.

المطلب الثاني: نظرية الهرمنيوطيقا عند المدرسة العقلية الحديثة

أطلقت كلمة الهرمنيوطيقا في الفلسفات القديمة على تلك الدراسات اللاهوتية التي تُعنى بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية، ابتعادا عن المعنى الحرفي المباشر، إذ تحاول البحث عن المعاني الحقيقية والتعمق في أغوار النص المقدس.⁵⁹

فالقضية الأساسية التي تتناولها الهرمنيوطيقا بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء كان هذا النص نصّا تاريخيا أم نصّا دينيا.⁶⁰

إنّ طبيعة الواقع وتغيّراته وما يشهده من تطوّرات، جعل من النصّ القرآني عند البعض قابلا للتطور من حيث الفهم والاستنباط والإدراك. ولذا لم يتوقف أصحاب المدرسة العقلية الحديثة من أمثال نصر حامد أبو زيد ومحمد شحرور وألفة يوسف وعبد المجيد الشرفي وغيرهم على ما استنبطه وفهمه علماء الأمة قديما وحديثا.

⁵⁸ أردول نجمية، المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف تركيا نموذجا، رسالة ماجستير في علوم الوحي والتراث، قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا، 2007م، ص 11.

⁵⁹ درقاوي عبد الحكيم، نظرية الهرمنيوطيقا من شليرماخر إلى بول ريكور، مقال في موقع أنفاس، وهذا رابط المقال:

<http://www.anfasse.org/2010-12-30-16-04-13/2010-12-05-17-29-12/5758-2014-12-12-23-14-47>

⁶⁰ الخراشي سليمان بن صالح، نظرات شرعية في فكر منحرف، لا يوجد ذكر لدار النشر، د.ط، د.ت، ص م 2 / ص

نظرية التأويل: من القراءة الظاهرية للنص إلى الهرمنيوطيقا

وحاولوا فهم هذا النص الذي اعتبروه "منتجا ثقافيا"⁶¹ وفق نظرية استوردوها من الغرب، وهياؤها لتكون صالحة لقراءة النص القرآني.

إنّ هذه المقدمة الموجزة حول مفهوم الهرمنيوطيقا، أثارت في داخلي جملة من التساؤلات: ما سرّ نظرية الهرمنيوطيقا عند الحداثيين؟ وهل اكتملت في هذه النظرية جميع الشروط حتّى يُعمل بها في فهم النصّ القرآني؟

شهد العالم الغربي خلال القرون السابقة ثورة علمية وتكنولوجية، مهدت لاندلاع ثورة فكرية في أذهان فلاسفة أوروبا ثمّ عامّة النّاس. فصار المجتمع الغربي مجتمعا متحررا من كلّ القيود، وهو ما جعله يتمرد على السلطة السياسية المتمثلة في الأنظمة الملكية الحاكمة، ويتمرد كذلك على السلطة الدينية المتمثلة في الكنيسة والديانة المسيحية.

وقد اعتمدوا في نقدهم للسلطة الدينية على نظرية الهرمنيوطيقا، فحاولوا تأويل النصّ المقدس ليكون ملائما للتطور التكنولوجي والعلمي.

وقد أثار هذا التطور الفكري والعلمي إعجاب ثلّة من الباحثين الأكاديميين العرب المسلمين، فحاولوا مسaire هذا التطور وذلك من خلال جلب أساليبه ومبادئه إلى بلدانهم وعرضها من أجل الالتحاق بركب الحضارة.

إلاّ أنّهم وجدوا صعوبة في تطبيق النموذج الغربي على المجتمعات العربية الإسلامية المحافظة على مبادئها وأخلاقياتها وهو ما جعلهم يدعون إلى التحرر من هيمنة التراث والنصّ، حيث يقول نصر حامد أبو زيد: "وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورا قبل أن يجرفنا الطوفان"⁶².

إنّ دعوة التحرر من سلطة النصّ لقيت نفورا تامّا من علماء الأمة الإسلامية وعامتها، وهو ما دعا أصحاب المدرسة العقلية الحديثة إلى إعادة ترتيب آرائهم ليكون لها قبولا في البلدان التي يعيشون فيها. فاعتمدوا على نظرية الهرمنيوطيقا أو ما تعرف بنظرية تأويل النصّ المقدس من أجل الإبقاء على حظوظهم داخل الأقطار الإسلامية، ومنها يستطيعون أن ينشروا تأويلاتهم للنصّ القرآني.

⁶¹ أبو زيد نصر حامد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2014م، ص 24.

⁶² أبو زيد نصر حامد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، مكتبة مدبولي، ط2، 1996م، ص 146.

كما لا يخفى على كلِّ باحث أنّ هذه المدرسة شهدت تصادما فكريا مع بعض المدارس الأثرية الحرفية المعاصرة، وهو ما جعلها تتوسل بالنظريات الغربية وتسعى لتطبيقها على آي القرآن. فالناظر إلى هذا السبب الأخير يستنتج بأنّ هذه النظرية التأويلية المعاصرة، كانت هي أيضا ردّة فعل على آراء المدارس التقليدية الحرفية، لأنّ هذه المدرسة الأخيرة في نظر الحداثيين مدرسة "رجعية، متخلفة، توقف الزمن عندها في القرون الأولى".

لم تنته رحلة البحث مع نظرية الهرمنيوطيقا بالكشف عن بعض أسرار استعمال الحداثيين لها، بل تتماهى هذه الرحلة للبحث عن إجابة للسؤال المطروح وهو:

هل اكتملت جميع الشروط في هذه النظرية حتّى يُعمل بها في فهم النصّ القرآني؟ إنّ الإجابة عن جميع حيثيات هذا التساؤل تحتاج إلى قراءة تفصيلية في فلسفة نظرية الهرمنيوطيقا ومنها قراءة في فلسفة واضعها من أمثال شليرماخر ومارتن هيدغير وغيرهم. وأظنّ أنّ هذا الأمر لا تسعه هذه الصفحات القليلة، لذا ارتأيت النظر في مستعملي هذه النظرية من المفكرين العرب، أي هل اكتملت شروط المفسّر في رموز المدرسة العقلية المعاصرة حتّى يضعوا أنفسهم في خانة المفسرين لأيّ الذكر الحكيم؟

فقد وضع علماء التفسير القدامى جملة من الشروط حتّى يستطيع المفسرولوج عالم القرآن، ومن أهمّ هذه الشروط معرفة اللغة وعلومها (كالنحو والصرف..). وكذلك معرفة علوم البلاغة (كالبيان والبديع والمجاز..)، وعلم القراءات وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والفقه والناسخ والمنسوخ والإمام بالأحاديث النبوية وغيرها من الشروط الأخرى⁶³.

ولو نظرنا في هذه الشروط لجزمنا يقينا بعدم توفرها في أحد من رموز المدرسة الحداثية، وقد تبين ضعفهم في اللغة العربية وعدم معرفتهم ببعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم في بعض كتاباتهم⁶⁴.

⁶³ راجع الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، اعتنى به وعلّق عليه مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429هـ / 2008م، ص 763.

⁶⁴ بنعمر محمد، البحوث والدراسات التي اهتمت بالقراءات الحداثية للنص القرآني، مقال في موقع ملتقى أهل

التفسير، وهذا هو رابط المقال:

خاتمة:

لقد حاولت في هذا البحث من خلال عناصره عرض نظرية التأويل التي اختلفت فيها المدارس التفسيرية المتعاقبة.

ولعل أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث هي كالآتي:

- 1- برهن النصّ القرآني على خصوصيته ولذلك اختلف النَّاس فيه وفي تأويل آياته.
- 2- مثل التأويل مشكلة حضارية في الفكر الإسلامي، حيث تعددت فيه أفكار المدارس التفسيرية.
- 3- بُنيت نظرية التأويل عند المدارس التفسيرية على نقض بعضها البعض.
- 4- أكد البحث على أنّ نظرية التأويل عند المفسرين كانت في شكل ردّة فعل على غيرهم.
- 5- قد يستعمل التأويل أحيانا في غير موضعه السليم ويصير مذموما مثل ما صنعتة المدرسة العقلية الحديثة.
- 6- أثر اختلاف المدارس التفسيرية حول نظرية التأويل على بنيانهم العقدي.

الهوامش والإحالات:

1. ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت، م 5 / ص 215.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج 5 / ص 414، نقلا عن كتاب تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ط2، 1405 هـ / 1985 م، ص 20.
3. الغامدي ماجد بن سالم، قراءة لنظرية المنهج التربوي في ضوء النظرية الإسلامية، شبكة الألوكة، د.ط، د.ت، ص 9.

4. فهي محمد سيف الدين، النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، ص 15.
5. صليباً جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، د.ط، 1982م، ج 2 / ص 477.
6. ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج 11 / ص 32.
7. م.ن، ج 11 / ص 33.
8. م.ن، ص.ن.
9. م.ن، ص.ن.
10. الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط3، 1413 هـ / 1193م، ص 1244.
11. م.ن، ص.ن.
12. الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر، ج 1 / ص 152.
13. آل جعفر مساعد مسلم والسرطان معي هلال، مناهج المفسرين، دار المعرفة، ط1، 1980م، ص 33.
14. أبو عمشة خالد حسين، التأويل النحوي، شبكة الألوكة، د.ط، د.ت، ص 3.
15. الطييار مساعد بن سليمان، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، دار ابن الجوزي، ط2، 1427 هـ، ص 97.
16. سورة آل عمران، الآية 7.
17. سورة النساء، الآية 58.
18. سورة الأعراف، الآية 52.
19. سورة يونس، الآية 39.
20. سورة يوسف، آيات 6 - 21 - 36 - 37 - 44 - 45 - 100 - 101.
21. سورة الإسراء، الآية 35.
22. سورة الكهف، الآية 77 - 81.
23. ابن حنبل أحمد، المسند، مسند ابن عباس، ر.ح، 2397، ت. شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، ج 4 / ص 225.
24. سورة آل عمران، الآية 7.
25. الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق وتعليق بشار عواد معروف وعصام فارس الحستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ / 1994م، م 2 / ص 217 - 219، بتصرف.
26. سورة النساء، الآية 58.
27. الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، م 2 / ص 494.
28. سورة الأعراف، الآية 52.
29. حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 33، العدد1، 2006، ص 3.
30. سورة يونس، الآية 39.

31. الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م 4 / ص 210 – 211.
32. حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، ص 3.
33. م.ن، ص.ن.
34. ¹ سورة الإسراء، الآية 35.
35. الطبري ابن جرير، جامع البيان، م 5 / ص 29.
36. سورة الكهف، الآية 77.
37. تفسير الطبري، م 5 / ص 124.
38. تفسير الطبري، م 2 / ص 219.
39. سورة الأعراف، الآية 52.
40. حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، ص 4.
41. الرومي فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418 هـ / 1997م، ج 1 / ص 367.
42. هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا. انظر: معجم التعريفات للجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت، ص 155.
43. الجعافرة خلدون أحمد، سيميائية الإشارة الصوفية في الخطاب الشعري الحديث، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها تحت إشراف د. مصطفى عليان، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2011م، ص 1.
44. التستري سهل بن عبد الله، تفسير القرآن العظيم، حققه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي، دار الحرم للتراث، ط1، 2004م، ص 76.
45. شريف هزاع شريف، المعنى والتأويل في الخطاب الصوفي عند الحلاج، لا يوجد ذكر لدار النشر، د.ط، د.ت، ص 11.
46. خميسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، رسالة دكتوراه تحت إشراف د. عبد الرحمن التليلي، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، الجزائر، 1426 هـ / 1427 هـ، ص 10.
47. سورة النساء، الآية 36.
48. تفسير التستري، ص 131.
49. سورة الحجرات، الآية 9.
50. تفسير التستري، ص 254.
51. السيميائية هي علم يدرس كيفية اشتغال الأنساق الدلالية التي شكلت الإطار القيمي والأخلاقي والجمالي للممارسات الإنسانية. انظر: سيميائية الإشارة الصوفية في الخطاب الشعري الحديث، خلدون أحمد الجعافرة، ص 6.
52. سورة الزمر، الآية 10.
53. الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، د.ط، د.ت، ج 1 / ص 183.

54. الغزالي محمد بن محمد، المستقصى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ، ص 196. الرازي محمد بن عمر، المحصول في علم الأصول، تحقيق طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1400 هـ، ج 3 / ص 323.
55. الأمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404 هـ، ج 3 / ص 59.
56. حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، ص 6.
57. أردول نجمية، المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف تركيباً نموذجاً، رسالة ماجستير في علوم الوحي والتراث، قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا، 2007م، ص 11.
58. درقاوي عبد الحكيم، نظرية الهرمنيوطيقا من شليرماخرا إلى بول ريكر، مقال في موقع أنفاس، وهذا رابط المقال:
59. <http://www.anfasse.org/2010-12-30-16-04-13/2010-12-05-17-29-12/5758-2014-12-12-23-14-47>
60. الخراشي سليمان بن صالح، نظرات شرعية في فكر منحرف، لا يوجد ذكر لدار النشر، د.ط، د.ت، ص 2 / ص 271.
61. أبو زيد نصر حامد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 2014م، ص 24.
62. أبو زيد نصر حامد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، مكتبة مدبولي، ط2، 1996م، ص 146.
63. راجع الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، اعتنى به وعلّق عليه مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429 هـ / 2008م، ص 763.
64. بنعمر محمد، البحوث والدراسات التي اهتمت بالقراءات الحداثيّة للنص القرآني، مقال في موقع ملتقى أهل التفسير، وهذا هو رابط المقال:

<http://vb.tafsir.net/tafsir39665/#.WDXxkubJzIU>

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني

- 1- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
- 2- الكيلاني ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دار ابن كثير، بيروت – لبنان، ط2، 1405 هـ / 1985م.
- 3- الغامدي ماجد بن سالم، قراءة لنظرية المنهج التربوي في ضوء النظرية الإسلامية، شبكة الألوكة، د.ط، د.ت.

نظرية التأويل: من القراءة الظاهرية للنص إلى الهرمنيوطيقا

- 4- فهد محمد سيف الدين، النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت.
- 5- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، د.ط، 1982م.
- 6- الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط3، 1413 هـ / 1993م.
- 7- الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر.
- 8- آل جعفر مساعد مسلم والسرطان محي هلال، مناهج المفسرين، دار المعرفة، ط1، 1980م.
- 9- أبو عمشة خالد حسين، التأويل النحوي، شبكة الألوكة، د.ط، د.ت.
- 10- الطيار مساعد بن سليمان، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، دار ابن الجوزي، ط2، 1427 هـ
- 11- الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وتعليق بشار عواد معروف وعصام فارس الحستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ / 1994م.
- 12- الرومي فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418 هـ / 1997م.
- 13- الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.
- 14- الجعافرة خلدون أحمد، سيميائية الإشارة الصوفية في الخطاب الشعري الحديث، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وأدائها تحت إشراف د. مصطفى عليان، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2011م.
- 15- التستري سهل بن عبد الله، تفسير القرآن العظيم، حققه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي، دار الحرم للتراث، ط1، 2004م.
- 16- خميسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، رسالة دكتوراه تحت إشراف د. عبد الرحمن التليلي، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، الجزائر، 1426 هـ / 1427 هـ
- 17- الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت.
- 18- الغزالي محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ
- 19- الرازي محمد بن عمر، المحصول في علم الأصول، تحقيق طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1400 هـ

- 20- الأمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404هـ.
- 21- أردول نجمية، المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف تركيا نموذجاً، رسالة ماجستير في علوم الوحي والتراث، قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا، 2007م.
- 22- الخراشي سليمان بن صالح، نظرات شرعية في فكر منحرف، لا يوجد ذكر لدار النشر، د.ط، د.ت.
- 23- أبو زيد نصر حامد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 2014م.
- 24- أبو زيد نصر حامد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، مكتبة مدبولي، ط2، 1996م.
- 25- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، اعتنى به وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429هـ / 2008م.
- مصادر أخرى:
- مقالات:
- * حسن سامي عطا، كلمة التأويل دلالتها وأطوارها، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 33، العدد 1، 2006.
- * درقاوي عبد الحكيم، نظرية الهرمنيوطيقا من شليرماخر إلى بول ريكور، مقال في موقع أنفاس، وهذا رابط المقال:
- www.anfasse.org/2010-12-30-16-04-13/2010-12-05-17-29-12/5758-2014-12-12-http://23-14-47
- * بنعمر محمد، البحوث والدراسات التي اهتمت بالقراءات الحداثية للنص القرآني، مقال في موقع ملتقى أهل التفسير، وهذا هو رابط المقال:
- <http://vb.tafsir.net/tafsir39665/#.WDXxkubJzIU>